كوميديا المثلث الفيروزى
من جديد !

الظاهرة الجديدة التى بدأت تطفو فوق سطح حياتنا المسرحية بعامة ، ومسرحنا الكوميدى بنوع خاص . هى العودة إلى (**دراما الأسرة**) ، تناولا لمشكلاتها القائمة ، وتنبؤًا بمساراتها المقبلة ، وتخليا عن موجة الكوميديا الغنائية الاستعراضية ، التى أغرقت مسرحنا حتى غرق فيها المسرح ، وغرق معه الإحساس بأن يكون المسرح هدفاً فى ذاته بالنسبة للجمهور ، وهدفًا فى رسالته مع واقع المجتمع ، وتيار الحياة .

وما أكثر المشكلات التى تعانيها الأسرة المصرية وبخاصة فى هذه الفترة الخلاقة من تطور المجتمع ، وهى الفترة التى يمكن تلخيصها بفترة الانتقال الاجتماعى من مرحلة البحث عن الذات إلى مرحلة تحقيق الذات ، فما أجدر مجتمعنا المصرى بعد رحلته الطويلة عبر ربع قرن من الزمان ، قضاها منذ أن قامت الثورة إلى أن كانت حرب أكتوبر المجيد ، بحثاً عن ذاته ، وعن جهاته الأصلية ، وعن قدراته الدفينة . ما أجدره بعد هذه الحرب العبورية ، التى هى تاريخ فارق بين مرحلتين ، أن ينتقل من بحثه عن ذاته إلى تحقيق هذه الذات .

وإذا كانت الأسرة هى نواة المجتمع ، كما يقول علماء الاجتماع ، وكان مجتمعنا

قد عاد إلى ينبوعه الأصيل ، المتمثل فى أخلاق القرية ، فما أجدر الأسرة المصرية بدورها أن تتخلق بهذه الأخلاق ، تكاملا مع أخلاقيات المجتمع ، وتكميلا لمسيرة الحياة .

والفن باعتباره مرآة عاكسة لصورة المجتمع ، وفى ذات الوقت نظيرة مشعة لمستقبل هذا المجتمع ، ينبغى أن يتعاطى هذه المرحلة لا بالتصوير فحسب ، ولكن أيضاً بالتصور ، تصوير ما هو كائن ، وتصور ما ينبغى أن يكون .

وانطلاقاً من فوق هذا المهاد الاجتماعى ، وذاك الفراش الأسرى ، تجىء هذه الكوميديا الأسرية الاجتماعية (**أنا وهى ومراتى**) ، التى يقدمها (**المسرح الكوميدى**) ، وهى كوميديا خفيفة تدور حول مشكلة من أبرز المشكلات التى باتت تؤرق مضجع الأسرة المصرية ، وهى مشكلة الانفجار الأطفالى ، باعتبارها جزءاً من مشكلة الانفجار السكانى ، المشكلة الأولى تتهدد أمن الأسرة والمشكلة الأخرى تهدد سلام المجتمع . وإذا كانت حملات التوعية ، والترشيد ، التى تدعو إلى تحديد النسل وتنظيم الأسرة ، تعمل جاهدة ومجاهدة على تقديم الحلول ، فقد جاءت هذه المسرحية ، تحاول لا أقول أن تقدم حلا ، ولكن أن تجسد المشكلة ، وتصور مدى خطورتها ، ومدى ما يمكن أن تؤدى إليه من نتائج .

فهنا زوجان بسيطان ، يعيشان حياة زوجية بسيطة ، ولكنها سعيدة ، « حسن » المدرس الإعدادى القانع براتبه الشهرى ، السعيد مع زوجته « نبيلة » ، القانعة بدورها بحياة البيت ، ولا شىء ينغص عليهما هذه الحياة البسيطة والسعيدة معاً ، سوى الأطفال فهما لم ينجبا أطفالا وقد مضى على زواجهما خمس سنوات . غير أن هذه المشكلة لا تنغص عليهما حياتهما إلا إذا زارتهما الست « سرارى » .. أم حسن ، التى لا تدعو إلى تحديد النسل ولا إلى تنظيم الأسرة ، فهى لا تكف عن

أخذ « نبيلة » إلى المشايخ والزارات ، وإلى أدعياء الكرامات وخوارق العادات ، كل هذا بقصد أن تنجب زوجة ابنها طفلا ، يحمل اسم أبيه واسم العائلة .

وتبوء كل محاولات « الست سرارى أم حسن » ، بالفشل ، والفشل الذريع ، فلا تجد أمامها سوى « حسنية » الشابة الجميلة الفاتنة ، التى مات عنها زوجها فى صباح عرسها ، بعد أن دهمته سيارة ، وهو فى طريقه إلى شراء جيلاتى لعروسه الجميلة ، إنها تقترح على ابنها حلا لمشكلة العقم التى باتت مؤكدة بالنسبة لزوجته « نبيلة » ، أن يتزوج من « حسنية » ، ولا حرج فى ذلك ، فإذا كان الشرع قد أجاز للزوج أن يتزوج بأربعة ، فهو لا يتزوج بأكثر من اثنتين .

ويتردد « حسن » كثيراً أمام اقتراح أمه ، فهو ولو أنه إنسان أهطل ، لم يصل بعد إلى درجة البلاهة ، إلا أنه لا يجد مبرراً كافيا لأن يتزوج فوق زوجته ، فلو أنه تجاوز عن المشكلة الاجتماعية التى ستنشأ حتماً بين الزوجتين ، فلن يتجاوز عن المشكلة الاقتصادية التى ستواجهه فى الإنفاق على البيتين . ولكنه تحت إلحاح أمه من ناحية ، وعقم زوجته من ناحية أخرى ، وفتنة « حسنية » وإثارتها له من ناحية أخيره لا يملك إلا أن يرضخ ، وفى الوقت الذى يتم فيه زواجه من حسنية يعلم من زوجته « نبيلة » أنها حامل ، وفى الوقت الذى يفكر فيه فى الخلاص من « حسنية » بالطلاق ، يعلم منها أنها هى الأخرى حامل ، وهكذا لا يملك إلا أن يرضخ للأمر الواقع ، ولو وقع فوق أم رأسه ! .

وتلد زوجته الأولى بنتاً ، وتلد الزوجة الثانية ولداً ، وتحت وطأة الانفاق ، يحاول الأستاذ حسن أن يُرَشِّد الإنفاق ، فيجمع بين الزوجتين فى شقة واحدة ، ويبدأ فى إعطاء الدروس الخصوصية للتلاميذ ، كدخل إضافى يساعده مع مرتبه الشهرى على مواصلة أعباء الحياة . ولكن الزوجتين كلتيهما تدخلان فى سباق غريب

لإنجاب الأطفال ، فكلما أنجبت إحدى الزوجتين طفلا ، سارعت الأخرى إلى إنجاب طفل آخر ، حتى يجد نفسه بين كتيبة من الأطفال ، بلغ عدد أفرادها ستة عشر طفلا ، نصفها إناث من زوجته الأولى ، والنصف الآخر ذكور من زوجته الأخرى .

وعبثاً يحاول « الأستاذ حسن » أن يواجه لا تكاليف الحياة فحسب ، بل الحياة نفسها ، فراتبه الشهرى لم يعد يكفى لمواجهة كل هذه الأفواه الجائعة ، ودخله من الدروس الخصوصية لم يعد يكفى أيضاً لسد احتياجات المنافسة المستمرة بين كلا الزوجتين ، ولم تقف مشكلاته عند هذا الحد ، بل تجاوزته إلى أشياء أخرى ، فمواعيده فى المدرسة لم تعد منتظمة ، الأمر الذى ترتب عليه نقله إلى العمل فى مدرسة أبى زعبل التى تبعد كثيراً عن بيته ، والتى تضاعف من تكاليف المواصلات ، فضلا عن أنه اضطر اضطراراً إلى انفاق مهر أخته « نوسة » على أعباء حياته الزوجية ، مما أحدث شقاقاً بينه وبين شقيقته ، بل اضطر إلى بيع البيت الصغير الذى ورثته أمه عن أبيه المتوفى ، مما أوقعه فى خلاف مع أمه ، وهكذا سارت حياة الأستاذ حسن من سيئ إلى أسوأ ، وليس أمامه من سبيل إلى الخلاص .

« والأستاذ حسن » ولو أنه مدرس أهطل وليس أبله ، فإنه مع ذلك إنسان طيب القلب ، نقى الضمير ، فهو لا يفكر فى السرقة لكى يحل مشكلاته ، ولا يفكر فى الاختلاس لكى يواجه أعباء الحياة ، كل ما فكر فيه هو الانتحار ، أن يتخلص من حياته هو طالما لم يعد قادراً على التخلص من حياة الآخرين .

ويقدم بالفعل على الانتحار .. ولكنه يفاجأ بأن الزجاجة التى ظنها (بوليس النجدة) ، ما هى إلا زجاجة لبن لأحد أطفاله ، فيسقط فى يده ، ويعاود

الانتحار من جديد ، ولكن عبثاً وبلا جدوى ، وأخيراً لا يملك إلا أن ينهار ، بعد أن يبدى سخطه على الحياة والأحياء ، وعلى الأطفال وكثرة إنجاب الأطفال ، وعلى العادات البالية والتقاليد المتهرئة التى أوقعته فى كل هذه المشكلات التى جعلته يحيا بلا حياة ، بل يحيا بلا موت ، وبلا قدرة على مواجهة الموت .

وبهذه النهاية المأساوية تنتهى هذه الكوميديا الأسرية ، التى حاول فيها كاتبها « سامى غنيم » أن يجسد مشكلة عدم تحديد النسل ، أو عدم تنظيم الأسرة ، داعياً من خلال تجسيده لهذه المشكلة إلى ضرورة تحديد النسل ، وتنظيم الأسرة ، خاصة فى مجتمعنا المعاصر ، الذى يعانى من أزمة الانفجار السكانى ، والانفجار الأسرى ، وهى ولا شك مشكلة من أخطر مشكلاتنا الأسرية والاجتماعية .

وبمقدار ما وفق الكاتب الكوميدى « سامى غنيم » فى تجسيد هذه المشكلة وعرضها فوق المسرح ، من خلال مواقف كوميدية ذكية ، وحوار فكاهى ممتع ، وشخصيات هزلية واقعية ، وبمقدار ما وفق كذلك فى تطوير مراحل الحدث الكوميدى من بدايته إلى وسطه إلى منتهاه ، بمقدار ما خانه التوفيق فى النهاية التنويرية التى اختتم بها المسرحية ، فلا يعقل نفسيًّا ولا يقبل فنيًّا أن يقدم بطل مسرحى على الانتحار مرتين وفى لحظتين متتاليتين ، إن هذا هو ما يعرف فى الدراما بضد الذروة ، فإذا ما وصل الحدث المسرحى إلى الذروة ، ينبغى أن تجىء فوراً لحظة التنوير ، دونما حاجة إلى كسر هذه الذروة من أجل بناء ذروة أخرى جديدة .

كذلك لا يعقل أخلاقيًّا ولا يقبل كوميديًّا أن يقف البطل الكوميدى فى مونولوج طويل لكى يبيع أطفاله للجمهور ، واصفاً إياهم بالكلاب مرة ، وبالقطط مرة أخرى ، وبالوباء مرة أخيرة ، إن هذا فضلا عن كونه ضد الطفولة ، وضد الأخلاقية ، فهو كذلك ضد المعمار الكوميدى الذى تبناه الكاتب ، والذى

ينتهى به إلى مثل هذه النهاية الميلودرامية .

ويجىء الإخراج ، محاولا تجسيد هذا النص فوق المسرح ، فينجح بالفعل فى بلورة المشكلة الأسرية الاجتماعية ، من خلال الشخصيات التى عرف المخرج مجدى مجاهد كيف يجسدها فوق المسرح ، وذلك من خلال حرصه على الحوار الفكاهى دون إسفاف ، (والإفيهات) الكوميدية دون ابتذال ، ومشاهد « الردح » بين الزوجتين من ناحية ، وبين الزوجة الأولى والأم من ناحية أخرى ، وذلك أيضاً دون أن يهبط بالمستوى الفنى المطلوب .

ونجح « **مجدى مجاهد** » حقاً فى استخدام عنصر الطفولة فى الفصل الثالث والأخير ، فى تشكيلات كوميدية رشيقة ، ومن خلال مضمون اجتماعى هادف ، كما نجح فى إضفاء عنصر الرقص والغناء على افتتاحيات الفصول الثلاثة ، وإن كنت أفضل الاقتصار فى الغناء على عنصر الطفولة فى الفصل الثالث ، وفى افتتاحيات الفصول الثلاثة ، دون حاجة إلى العودة من خلال أبطال العرض إلى الكوميديا الغنائية الاستعراضية الراقصة . كذلك وفق المخرج فى تابلوه الزار ، الذى عرف الفنان « صلاح يحيى » ، كيف يجسده فوق المسرح ، من خلال دور « الشيخة صابحة » ، وكان هذا المشهد بفضل براعة هذا الفنان وخفة ظله من أنجح مشاهد المسرحية على الإطلاق .

أما الديكور الذى قامت بتصميمه الفنانة « **نهى براده** » ، فربما كان هو أضعف عناصر العرض المسرحى ، فهو على فقره وافتقاره يخلو من أى عنصر جمالى ، أو حتى عنصر تشكيلى ، خاصة وأنه ديكور واحد لا يتغير على امتداد الفصول الثلاثة ، ولقد بدا عجز مصممة الديكور واضحاً ، أمام إيجاد حل ديكورى لشقة الست « حسنية » التى هى جارة « الأستاذ حسن » فلم تجد سوى أن تضعه فى مكان خارج

المسرح ، وبذلك يصبح إسدال الستار ، طردا لهذا الجزء من الديكور من المسرح ومن المسرحية ، أما كان يمكن إيجاد حل آخر لتوحيد الديكور فى إطار متكامل ؟ .

وتجىء الأدوار التى وفق المخرج فى توزيع أكثرها على مجموعة الممثلين ، فى طليعة هذه الأدوار دور الفنان الكوميدى « **نبيل بدر** » ، الذى وفق فى أداء دور « الأستاذ حسن » ، وهو وإن كان أول بطولة مطلقة لهذا الفنان الكوميدى ، فإنه استطاع بحق أن يكون فى حجم البطولة المطلقة ، وذلك منذ تطوره الصاعد فى الأداء الكوميدى ، حتى بلوغه أول دور من أدوار البطولة المطلقة ، فقط أقول للفنان « نبيل بدر » ألا يكرر حركات غيره من فنانى الكوميديا المعروفين ، بما فى ذلك حركاته هو التى ينبغى أن يكون فيها مجددا .

وبعده تجىء الممثلة السينمائية « **زبيدة ثروت** » فى دور « نبيلة » ، وأقول الممثلة السينمائية ولا أكاد أقول المسرحية ، لأن « **زبيدة ثروت** » حتى الآن وبعد محاولتها المسرحية الأولى مع الفنان « **أمين الهنيدى** » ، ومحاولتها المسرحية الثانية مع المخرج « **جلال الشرقاوى** » لا تزال تتعامل مع خشبة المسرح تعاملها مع كاميرا السينما ، فهى على المسرح فاترة الحضور ، غير قادرة على إشباع أدائها الصوتى ، ولا تلوين أدائها الحركى ، إنها تتحرك على المسرح من واقع اسمها لا من واقع دورها ، ولا من واقع علاقة هذا الدور بباقى أدوار المسرحية .

أما **الراقصة** « **هياتم** » فى دور « حسنية » ، فقد كشفت من خلال هذا الدور عن ممثلة كوميدية خفيفة الظل ، سريعة الحركة ، قوية الحضور المسرحى ، وقد استطاعت أن تستخدم ذهنها فى تجسيد هذا الدور فوق المسرح ، والتعامل معه من خلال الكلمة التمثيلية لا من خلال الرقصة الاستعراضية ، لقد عرفت كيف تجعل الجمهور ينسى الراقصة ويذكر الممثلة ، والممثلة الكوميدية بالذات .

وأما الكوميديانة « **ليلى فهمى** » فى دور « الست سرارى » . . . أم حسن ، فكانت موفقة فعلا فى أدائها لهذا الدور ، دور الحماة من ناحية ودور الأم من ناحية أخرى ، ولا شك أنها ممثلة كوميدية قادرة ومقتدرة ، ولكن مغالاتها فى « الإفيهات » الكوميدية ، ومبالغتها فى الحركات الهزلية ، توقعها فى هوة « الفارسكة » فى كثير من المشاهد ، مما يجعلها تغادر المياه الإقليمية لحدود دورها الكوميدى ، إلى محيط (الفارسكة) ، والأداء الهزلى ، وهو ما تجلى واضحاً فى مشاهدها التى قد توحى بالشذوذ الجنسى مع جارة ابنها . . « الست حسنية » .

ثم يجىء الممثل « **عبد الوهاب خليل** » فى دور « سيد ناست » الحلاق ، صديق « الأستاذ حسن » ، الكثير الزواج والطلاق ، حتى أوقعه ذلك فى الكثير من المآزق ، التى كان من أيسرها . . السجن ، ولقد وفق هذا الممثل فى أداء هذا الدور ، ولكنى أتساءل . . لماذا لم يتقدم « **عبد الوهاب خليل** » فى المسرح ، برغم تمرسه بالكثير من الأدوار وحصوله على الكثير من الفرص ، لأنه لا يزال حبيس إطار أدائى معين وقالب تمثيلى بالذات ؟ ربما . . غير أننى لا زلت أرى فى طاقات هذا الممثل وقدراته ما يفوق بكثير حجمه الحالى فوق المسرح .

وبعد ، فعلى الرغم من كل ما فى هذا العرض الكوميدى من سلبيات ، فإنها فى عمومها سلبيات أقل بكثير مما ينطوى عليه من إيجابيات ، وهى إيجابيات الكوميديا الهادفة مضموناً ، الراقية شكلا ، النابعة من جوف الأسرة ، وأحشاء المجتمع المصرى ، لتساعد فى تصحيح مسار الكوميديا المصرية ، والعودة بها إلى الينبوع . . إلى الكلمة الهادفة ، والضحكة الصادقة ، والمتعة الفنية لجمهور المسرح ، وهذا وحده يكفى ، بل هذا وحده فيه الكفاية . .